الملتقى العالمي الخامس للرابطة العالمية لخريجي الأزهر

" الإمام أبو الحسن الأشعري إمام أهل السنة والجماعة: نحو وسطية إسلامية تواجه الغلو والتطرف"

القاهرة: 24-27 جمادى الأول 1431 / 8-11 مايو 2010

محمد الطاهر الميساوي *

اختار الأزهر وشيخه الجديد الدكتور محمد أحمد الطيب أن يكون موضوعُ الملتقى الخامس للرابطة العالمية لخريجي هذه المؤسسة العريقة (التي ينضوي فيها نحو ستين ألف عضو من مختلف دول العالم) أحدَ أعلام الفكر الإسلامي الكبار من أجل البحث في موقفه العقدي ومنهجه الكلامي وتراثه الفكري عن معالم لوسطية إسلامية يمكن بها التصدي لنزعات الغلو والتطرف التي أشاعت ثقافة التدابر والتكفير في مجتمعات المسلمين في العصر الحديث، فكان الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري هو الذي وقع عليه الاختيار.

ومما يبرز الأهمية الكبيرة التي يبدو أن أوساطًا كثيرة في مصر وربما خارجها تنيطها بهذا الحدث الفكري الثقافي أن الجلسة الافتتاحية للملتقى قد خاطبها أربعُ شخصيات تمثل المرجعية الإسلامية الرسمية في أرض الكنانة، وهم الدكتور أحمد محمد الطيب شيخ الأزهر الذي تولى هذا المنصب خلفًا لسلفه الدكتور محمد سيد طنطاوي عليه رحمة الله الذي توفي يوم الأربعاء 24 ربيع الأول 1431 الموافق 10 مارس 2010، والدكتور علي جمعة محمد مفتي الديار المصرية، والدكتور محمود حمدي زقزوق وزير

* أستاذ مشارك في قسم الفقه وأصول الفقه ومدير تحرير مجلة التجديد بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، البريد الإلكتروني: mmesawi@iiu.edu.my ؛ mmesawi@hotmail.com

الأوقاف، والدكتور عبدالله الحسيني رئيس جامعة الأزهر الجديد الذي خلف الدكتور الطيب في هذا الموقع. وقد تناغمت الكلماتُ التي ألقاها أربعتهم من حيث إبراز أهمية فكرة الوسطية بوصفها تعبيرًا عن منهج الإسلام في معالجة قضايا الإنسان والمجتمع على المستويات العقدية والفكرية وكذا على المستويات العملية والسلوكية، بحيث يستوعب المنتمين إليه على كليات جامعة وأصول كبرى وقيم أساسية، كما يوفر لهم مجالاً واسعًا من التنوع والاختلاف الذي تتم معالجته من خلال الاجتهاد العلمي والحوار الفكري بعيدًا عن الإلغاء والإقصاء.

كما أكد المشايخ الأربعة في كلماتهم أن من رسالة الأزهر جامعًا وجامعة تعزيز نهج الوسطية والاعتدال ومحاربة الغلو والتطرف بجميع صوره وأشكاله، من أجل ترسيخ وحدة المسلمين مهما اختلفت مذاهبهم الفقهية وتباينت منازعهم الفكرية وتوجهاتهم السياسية، طالما أنهم جميعًا يسلمون بمرجعية القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. واتفقوا جميعًا على أن الإمام الأشعري في سيرته العملية وموقفه العقدي ومنهجه الفكري وتراثه العلمي يوفر للمسلمين في العصر الحاضر إطارًا مناسبًا لتأصيل قيم الاعتدال والوسطية والحوار والتسامح وترسيخها في حياتهم سواء في تعامل بعضهم مع بعض أو مع غيرهم من أصحاب الأديان والعقائد الأخرى.

وقد حرص شيخ الأزهر الدكتور أحمد محمد الطيب في كلمته على ألا تغيب قضية المسلمين الأولى - القضية الفلسطينية — عن الذكر، وأن لا يُنسى ما وقع ويقع على شعب فلسطين من ظلم وحصار خرق كلَّ الأعراف والقوانين الدولية، مناشدًا الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية بتوخي العدل والكف عن سياسة الكيل بمكيالين في قضايا العرب والمسلمين، ومؤكدًا ضرورة التحلي بالجدية والمسؤولية والإنصاف مع الشعب الفلسطيني المعذب والمظلوم ووقف معاناته.

وقد خاطب الجلسةَ الافتتاحية أيضًا معالي السيد زين العابدين عبدالقادر (سفير ماليزيا السابق بالقاهرة) نيابةً عن خريجي الأزهر مشيرًا إلى أن المسلمين بوجه عام وفي

ماليزيا وجنوب شرقي آسيا بوجه خاص يواجهون تحدياتٍ كثيرة، أخطرها تلك التي تستهدف قيم الدين وعقائه. فقوى العولمة وتيارات التغريب التي لا يغيب التخطيط عن أعمال الكثير منها تشن – في رأيه – حربًا مفتوحة على الأديان عمومًا وعلى الإسلام خصوصًا بإشاعة أنماط من الفكر والقيم التي لا تخاطب في الإنسان إلا غرائزه الدنيا، الأمر الذي نتجت عنه الكثيرُ من مظاهر التحلل الخلقي والتشويش الفكري والتسيب السلوكي وعدم الاكتراث بالمسؤولية على المستوى الشخصي الفردي كما على المستوى الاجتماعي العام. ويقابل هذه التحديات – لدى قطاعات واسعة من علماء المسلمين ومؤسساتهم التعليمية – غفلةٌ عن خطورتها وعدمُ إدراكٍ لخطرها على المجتمعات الإسلامية وعلى الإسلام والثقافة الإسلامية في الحاضر والمستقبل، وخاصة لدى ألئك الذين ضاق أفقُهم فأغرقوا أنفسَهم ومجتمعاتهم في صراعات مدمرة حول قضايا ثانوية ما كان لها أن تتحول إلى أسباب للنزاع والصراع لولا الضعفُ في المعرفة العلمية بتعاليم الإسلام والخلل في فقه أحكامه اللذين أديا إلى انقلاب في سلم الأولويات في أذهان كثير من المسلمين. ولذلك دعا السيد عبد القادر إلى ضرورة أن يولِيَ الأزهرُ وسائر المؤسسات التعليمية الإسلامية من جامعات ومعاهد عناية خاصة لمواجهة هذه التحديات بما تستحق من رؤية وتخطيط وبرامج عملية يجري تنفيذها بجدية ومثابرة.

وقد شارك في الملتقى الذي استغرق أربعةَ أيام كاملة ما لا يقل عن مائتي شخص من العالم العربي وشبه القارة الهندية وباكستان وأفريقيا الغربية وأفريقيا جنوبي الصحراء وجنوب شرقي آسيا وتركية وآسيا الوسطى وأوروبا وأمريكا الشمالية وأمريكا اللاتينية، أكثرهم من خريجي الأزهر وعدد لا بأس به ليسوا من خريجيه، وفيهم المالكي، والشافعي، والحنفي، والحنبلي، والإباضي، بل وفيهم غير المسلم (ولكن غاب الزيدي والجعفري!). وعقدت خلاله اثنتا عشرة جلسة علمية قدم فيها ثمانية وأربعون بحثًا (أربعة في كل جلسة) تدور حول المحاور الآتية: عصر الإمام الأشعري، سيرة الإمام الأشعري عند الأقدمين، الإمام الأشعري في الدراسات الحديثة،

تراث الإمام الأشعري، عقيدة الإمام الأشعري، الإمام الأشعري وقضايا التأويل، الإمام الأشعري والفلسفة الإسلامية، الإمام الأشعري وقضايا التجديد، تأثير الإمام الأشعري في العلوم الإسلامية، الوسطية في منهج الإمام الأشعري، الإمام أبو الحسن الأشعري والمجتمع الإسلامي، الإمام الأشعري في الفكر الأوروبي.

وقد جاءت هذه المحاور والبحوث التي قدمت فيها متنوعة وشاملة، بحيث يمكن القول إنها في الحقيقة تعد أولَ محاولة جامعة للنظر في فكر عَلَم مهم من أعلام الفكر الإسلامي كثيرًا ما جرى تهميشُه في الأوساط العلمية لحساب الاهتمام بدراسة المدرسة الكلامية التي نشأت باسمه ورموزها، أعني المدرسة الأشعرية. وبقطع النظر عن النتائج التي توصل إليها هذا الباحث أو ذاك، ومهما كانت الأحكام التي صدرت لفكر الأشعري أو عليه مما يمكن للراغب الاطلاعُ عليه في البحوث المقدمة في الملتقى، فإن ما يجدر بنا أن نلاحظه هنا بإكبار هو ذلك المناخ من الحوار الفكري الجاد والمفتوح الذي تميزت به غالبُ الجلسات العلمية، خاصة وأن المنظمين قد وُفقوا كثيرًا بما أتاحوه من زمن للتعقيب والنقاش حيث خصصت لذلك ساعةٌ في كل جلسة.

وفي نهاية المطاف وبعد أربعة أيام مما يمكن عدُّه مهرجانًا فكريًّا حقيقيًّا، خُتِم الملتقى بجلسةٍ أخيرة حضرها شيخُ الأزهر نفسه – الذي لم يكد يتخلف عن غيرها من الجلسات – تُلِيَ في البيان الختامي الذي احتوى على عدد من التوصيات ذات الصبغة العلمية والفكرية والسياسية. وتأتي في مقدمة تلك التوصيات الدعوةُ إلى ضرورة العمل الجدي والفوري لوقف الانتهاكات الإسرائيلية السافرة للمقدسات الإسلامية والمسيحية في فلسطين، وإدانة الدولة العبرية لما ترتكبه من عدوان وظلم بحق الشعب الفلسطيني في أرواحه ومقدساته وأراضيه. ثم توجه البيانُ إلى فئات الشعب الفلسطيني وقواه المختلفة داعيًا إياها إلى نبذ الخلافات بينها وتوحيد صفها والعمل يدًا واحدة لمواجهة العدو المشترك. كما دعا الحكوماتِ والشعوب العربية والإسلامية إلى تحمل مسؤولياتها ومضاعفة الجهد في سبيل الدعم المادي والمعنوي لكفاح الفلسطيني باعتبار قضيته قضية المسلمين الأولى، وذلك لوضع

حد للمظلمة الكبرى التي ترتكبها إسرائيل ضد أبناء فلسطين.

من ناحية أخرى ناشد البيانُ أهلَ السودان وقياداته للعمل يدًا واحدة لمواجهة الأخطار المحدقة بهم وترسيخ وحدتهم ووحدة بلادهم في وجه المخططات التفتيتية التي تُحاك ضد السودان وشعبه، وذلك في إطار نهجٍ وسطى معتدل يرسخ مفهومَ التعددية والتنوع، ويقبل الآخر ويتعامل معه لصالح الإنسانية ووفق المشترك الإنساني مع الحفاظ على الهوية الحضارية الإسلامية للسودان. وكذلك دعا البيانُ الفرقاءَ في العراق إلى توحيد الصف ونبذ النزاعات الطائفية، من أجل وحدة العراق واستقراره ودعم هويته العربية والإسلامية، وتفويت ما يحاك ضده من سياسة تقسيم وتفتيت على أسس عرقية وطائفية لا تخدم أبدًا مصلحة أهل العراق مهما كانت أعراقهم ومذاهبهم وطوائفهم.

ومن التوصيات المهمة التي تضمنها البيانُ الختامي للملتقى الدعوة إلى جمع تراث الإمام الأشعري المطبوع منه والمخطوط وتحقيقه تحقيقًا علميًّا لنشره وتيسيره للناس جميعًا (من خلال فهرسة مصطلحاته وبسك آرائه وأفكاره)، تعميمًا لفائدته بوصفه تجسيدًا لمنهج الوسطية التي تقوم عليها تعاليم الإسلام. وأشار البيان إلى أهمية تضمين أصول منهج الأشعري وفكره ومقولاته في المناهج التعليمية، وخاصة في الجامعات، وربطه بالقضايا والمشكلات الفكرية والعقدية المعاصرة التي تواجه المسلمين لإبراز مدى قدرته على مواجهتها وتقديم إجابات لها من منطلق الرؤية التأليفية والمنهج الوسطي للإسلام. كما طالب البيان بتأليف كتيبات ميسرة عن فكر الإمام الأشعري لتمكين الجميع من الاطلاع على آرائه واستيعاب مقولاته.

وقد أكد الدكتور عبدالدايم نصير أمين عام رابطة خريجي الأزهر أن التوصيات سيتم ترجمتها إلى جميع اللغات وتوزيعها على السفارات المصرية بالخارج والسفارات الأجنبية بالقاهرة، بهدف توضيح الملامح الرئيسة لفكر الأزهر الذي يدعو للوسطية وينبذ الارهاب بكافة صوره ويعتبر الحوار أسلوبًا ضروريًّا للوصول الي ما يخدم الإنسانية.

ولا بد من أن نلاحظ في خاتمة هذا التقرير ذاك الزخم الإعلامي الذي رافق

الملتقى، بل سبقه أيضًا، فقد حرصت الكثير من القنوات الفضائية والأرضية ومحطات البث الإذاعي على تغطية الملتقى، وعلى إجراء حوارات متفاوتة طولاً وقصرًا مع عدد غير قليل من المشاركين من داخل مصر ومن خارجها.